الادب اليـــابانى

للأستاذ احمد الشنتناوى

٢

إنتهينا فى مقالنا الأول من الكلام عن الأدب اليابانى حتى نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، أى بعد أن هدأت الثورة اليابانية الأهلية وابتدأت بوادر التجديد تظهر فى جميع نواحى الحياة اليابانية كما هى العادة دائما عقب الثورات الاجتماعية الخطيرة التى تظهر فى الأمم . وكان حظ الأدب اليابانى من هذا التجديد عظيما إذ لم يلبث أن ظهر فى الميدان الأدبى « كويو » Kôyô وهو مؤسس المدرسة الأدبية الحديثة فى اليابان المسماة « أصدقاء المجرة » وكان هو وتلاميذه وأتباعه يدينون بالمذهب الواقعى . ولا يكتبون إلا القصص المفعمة بالمشاعر الرقيقة ، والتى تتزاحم فيها العواطف والنزعات المختلفة . متخذين كتاب الحياة مصدرا ومعينا لما يكتبون ويصفون . وبالرغم من تباين أتباع « كويو » فى الأعمار والمراكز الاجتماعية والأزمنة التى عاشوا فيها كانوا يضربون جميعا فى مؤلفاتهم على هذا الوتر الحساس الذى طرب له « كويو » فاتخذه شعارا لمدرسته الأدبية الحديثة . ونعنى به المذهب الواقعى .

ولم يعمر « كويو » طويلا بل توفى فى عنفوان شبابه بعد أن طبقت شهرته جميع أنحاء اليابان . وتعد قصته الموسومة بشيطان الذهب ، أبلغ أعماله الأدبية على الإطلاق . ولقد اشترك مع « كويو » فى تأسيس تلك المدرسة الأدبية الحديثة أديب آخر يدعى « روهان » Rohan ولو أن هذا لم يكن يميل إلى المذهب الواقعى ، بل كانت الروح الغالبة على مؤلفاته هى الروح الخيالية الدينية الفلسفية . كذلك اكتسب هذا الأديب شهرة فائقة بقصة ألفها تدعى « بوذا المذلل » وهو لم يكتب شيئا آخر غير تلك القصة ، ولو أن العمر امتد به إلى ما بعد تاريخ هذا الكتاب بكثير .

وبعد الحرب الصينية اليابانية أخذت الآداب الغربية تطغى على اليابان وبيدا وبيدا . وكان أعظمها أثرا مؤلفات تولستوى وإبسن إذ ترجمت إلى اليابانية آثارهم وآثار غيرهم من زعماء الأدب الأوربى أمثال موبسان وهوجو وزولا وغيرهم حوالى عام ١٨٩٦ حتى وقف العقل الياباني حائرا أمام هذا السيل الجارف من الآداب الأوربية : وحاول « كويو » وأتباعه أن يدخلوا روحا جديدة تحليلية على الأدب اليابانى ، وفعلا أصدروا عدة مؤلفات تعبر أصدق تعبير عن نفسية الشعب الياباني الحديث ، كما نصب فريق آخر لأدب زولا وحاولوا تقليده .

وبعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية التى شب إوارها عام ١٩٠٥ بعد الآداب اليابانية بزيد صبغتها الغربية وقوى . فأنا نجد مثلا « هوجوتسو » Hoguetsou أحد أساتذة جامعة (واسدا) فى طوكيو يعود بعد سياحته الطويلة فى ربوع أوربا ويؤسس مدرسة أدبية جديدة هى محور للمدرسة الأدبية الغربية المعروفة بالمدرسة الطبيعية . حسبما تقتضيه البيئة اليابانية وأذواق الشعب اليابانى . وأهم المعززين فى تلك المدرسة هما توسون Toson وكاتو Katou .

تدأ الحرب العالمية بعد ذلك وتخفت صوت الآداب الأوربية نوعا ما . فتجد الآداب اليابانية المجال أمامها مفسحا لكى تقف بقفها فى الميدان ، وتسمع صوتها للملأ . فتقوم فى اليابان حملة عنيفة على الأدب المكشوف ، وهو شعار المدرسة الطبيعية ، ويطالب أصحاب تلك الحملة بالحاح أن تكون الآداب وسيلة لطلب المثل العليا ، وأنها يجب أن تسير فى جو محتشم طاهر . وأصبح هؤلاء فيما بعد زعماء المدرسة « الانسانية » Humanitaire وهؤلاء لم ينجحوا إلا فى القضاء على أصحاب الأدب المكشوف ، ولكنهم فى الوقت نفسه ظلوا فى إسار الآداب الغربية . ولعل أشهر هؤلاء الجماعة وأرسخهم أدبا هو « أريزيما » Arisima وأشهر أعماله الأدبية قصته المسماة « تلك المرأة » وهى تاريخ حياة امرأة حديثة « مودرن » تمثل فى جملتها العقلية اليابانية فى ذلك العهد الذى تشبع بالروح الغربية ، ويمكننا أن نعتبر هذه القصة مثالا لحالة الأدب الياباني فى ذلك العصر الذى أغارت فيه الحضارة الغربية على بلاد الشمس المشرقة .

والمتصفح لتاريخ الأدب الياباني منذ أقدم عصوره إلى الآن يمكنه أن يلاحظ بكل وضوح مقدار اختلاف العقلية اليابانية عن العقلية الغربية . فالذى تتفرد به العقلية اليابانية هو سرعة استعدادها لاعتناق كل ما هو جديد . بل التهامه التهاما دون التأمل والنظر فيما إذا كان الطعام الذى ستناوله فى مقدرتها هضمه أم لا . وليس معنى هذا أنها عقلية عديمة القدرة على التمييز والاختيار ولكن هذا التمييز وهذا الاختيار يأتيان بعد فترة من الزمن بعد أن تملك النفس زمامها وتألف رؤية الشيء الجديد ويذهب عنها بريقه ولمعانه . ويمكننا أن نذكر لك أن اليابان كانت تعشق أدب تولستوى عام ١٨٩٤ فتحولت عنه إلى سودرمان وهوبتمان عام ١٨٩٦ ، ثم تحولت عنهما عام ١٨٩٧ إلى موبسان وزولا وهوجو . ثم منهم إلى نرجيف عام ١٨٩٨ ثم إلى نيتشه عام ١٩٠١ ثم إلى مكسيم جوركى ومترلنك عام ١٩٠٢ وأخيرا انتهى بها التنقل والمطاف إلى تشيكوف وواجنر عام ١٩٠٣ . وإذا عرفنا

(البقية على صفحة ٣٧)